معارضاً مزمناً، أكثر من كونه شريكاً فاعلاً في البحث عن حل لأزمة المنطقة.

ومهما يكن الامر، فمن الجائز القول ان الاتحاد السوفياتي لم يكن قادراً على التصدي لاتفاقيتي كامب ديفيد، اذا استحضرنا في الذهن الخيارات التي كانت لديه، واهدافه، وامكاناته، في المنطقة. اما البادرة الاولى التي اشارت إلى معارضة الاتحاد السوفياتي للاتفاقيتين، فقد جاءت على لسان بريجنيف الذي لخّص موقف بلاده تجاه عملية السلام، فندد بمحاولة الولايات المتحدة تمرير تسوية تشق العالم العربي، وتسمح لاسرائيل بجني ثمار عداونها، مكرراً الموقف السوفياتي الرسمي، منذ العام ١٩٦٧، القائل بأن الاساس الوحيد لحل حقيقي يتطلب انسحاب اسرائيل من جميع الاراضي العربية التي احتلتها العام ١٩٦٧، واحترام الحقوق الشرعية الثابتة للشعب العربي الفلسطيني، بما في ذلك حقه في اقامة دولته المستقلة، وضمان أمن كل دول المنطقة[٤٦]. والمسألة كلها اشارات دبلوماسية من خارج المسرح.

لقد ظهر الاتحاد السوفياتي بمظهر من يعي الموقف الضعيف الذي وجد نفسه فيه بين ١٩٧٨ و ١٩٨١، وبمظهر من يعي، كذلك، الاسباب الحقيقية لهذا الضعف. لذا، لجأ إلى عدد من الوسائل لمحاربة كامب ديفيد، فشجع، اولاً، جبهة الصمود والتصدي الداعية إلى محاربة اسرائيل والتصدي لروابط السادات معها؛ وأعار، ثانياً، اهتماماً كبيراً للانتقادات الموجهة إلى جهود الولايات المتحدة في عملية السلام؛ وسهّل، اخيراً، منح م.ت.ف. مكانة دولية، بمقاييس معاصرة: فبعد ثلاثة أعوام من توقيع كامب ديفيد، واسبوعين من اغتيال السادات، في تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٨١، اتخذ الاتحاد السوفياتي خطوته الدبلوماسية الحاسمة بمنح الصفة الدبلوماسية الكاملة لبعثة المنظمة في موسكو[٤٧].

في المقابل، دعمت المنظمة خيارات موسكو. ففي مؤتمر وزراء خارجية البلدان الاسلامية الذي عقد في داكار، في العام ١٩٧٨، دافعت عن السياسات السوفياتية في منطقة القرن الافريقي، ودافعت، كذلك، عن تلك السياسات في ايران خلال «ازمة الرهائن». وفي أيار (مايو) ١٩٨٠، وخلال اجتماع لجنتها المركزية في دمشق، اعلنت «فتح» عن انها سوف تعضد تحالفها الاستراتيجي مع البلدان الاشتراكية، «وفي مقدمتها الاتحاد السوفياتي، ضد الامبريالية الاميركية والصهيونية والعنصرية»[٤٨]. وقد صاحب هذا التأييد، الدفاع عن التدخل العسكري السوفياتي في افغانستان. ففي مؤتمر القمة الاسلامية الذي عقد في الطائف، في كانون الثاني (يناير) ١٩٨١، صرح ياسر عرفات بـ «اننا ينبغي ان نقبل تأكيدات اصدقائنا السوفيات، بأن وجودهم العسكري في افغانستان، هو وجود مؤقت، وانهم سينسحبون في الوقت المناسب»[٤٩].

أتاحت هذه المرحلة الوصول الى استنتاج أولي حول السياسة السوفياتية في المجال الاقليمي الشرق أوسطي، هو ان موسكو تعاني من العزلة، ولا تستطيع، في اطار المنطقة، ان تفرض ارادتها، ولم تلق محاولاتها لفك طوق العزلة أي تجاوب من قبل دول المنطقة؛ بل وكانت، أحياناً، تثير ردود فعل عنيفة. على هذا المستوى، دعمت المنظمة، لتضمن موقفاً قريباً من الاحداث في النزاع العربي ـ الاسرائيلي، سواء أسلماً كان أم حرباً، ولترضى لنفسها بدور في المنطقة، ما برح يتقلص باستمرار.

ثالثاً: الفتور (١٩٨٢ ـ ١٩٨٦)

غير ان مرحلة خطب الود المتبادل لم تعمّر طويلاً. ففي أثناء الغزو الاسرائيلي للأراضي اللبنانية، في حزيران (يونيو) ١٩٨٢، ظهر، بأجلى صوره، أكثر من أي وقت مضى، ذلك الموقف السوفياتي